مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 10 العدد 2 أ، 2013، ص ص 1217- 1234

في الشعر الجاهلي والنقوش اليمنية

عرسان الراميني*

ملخص

يتمثل الغرض النهائي للورقة الحالية في التأكيد على أهمية النص الشعري الجاهلي لفهم التاريخ السياسي للعرب قبل الإسلام، وبالمثل، على أهمية المواد التاريخية العائدة إلى تلك الحقبة من الزمن في تحقيق فهم أفضل للحياة الأدبية آنذاك. فهذه الورقة تعيد قراءة أحد النقوش اليمنية في ضوء شعر منسوب للشاعر التميمي المخضرم المخبل السعدي، وفي الوقت نفسه، توظف هذا النقش في تصحيح الشروح على شعر المخبل نفسه. ويسجل النقش أحداث حملة عسكرية قادها أبرهة ضد قبائل متمردة عليه في جنوبي الجزيرة العربية، في حضرموت، سنة 542/ 547م، ويسجل أيضا أنشطة تتعلق بترميم سد مأرب بعد أن تعرض لتصدعات خطيرة جعلت أبرهة ينثني عن مواصلة حملته تلك ويعود أدراجه لمعالجة مشاكل السد؛ والمخبل السعدي، من جانبه، يتغنى بقتال قومه بني سعد إلى جانب أبرهة ويفتخر بمكانتهم الرفيعة في مملكته. وقد درست الورقة كلا النصين وبينت أنهما يتحدثان عن مناسبة واحدة، واستثمرت عددا من التفاصيل في شعر المخبل في تصحيح اقتراحات خاصة بقراءة النقش قدمها من تصدى لقراءته من علماء النقوش، أو في إزالة الغموض عن مواطن لم تكن واضحة لديهم. وفي المقابل، تم الاستفادة من المعلومات الواردة في النقش في تصحيح الشروح على بعض عبارات المخبل وفي تحديد الرواية الصحيحة لعبارات أخرى اختلف الرواة في روايتها. ثم، في نهاية الدراسة، تحدثت الورقة حديثا عاما أكدت فيه قوة الصلة بين مواد التاريخ والأدب فيما يتعلق بعصر ما قبل الإسلام، بصفة خاصة، بحيث ينبغي أن تكون مجاميع الشعر الجاهلي جزءا لا يتجزأ من مصادر مؤرخي تلك الحقبة من الزمن، وأن تكون المواد التاريخية العائدة إلى تلك الحقبة جزءا لا يتجزأ هي الأخرى من مصادر المشتغلين بالأدب العربي القديم. خلافا لذلك، لن تكون نتائج بحثنا في تاريخ العرب قبل الإسلام وفي أدبهم مأمونة النتائج في كثير من الأحيان.

مدخل

وصل إلينا من عهد أبرهة الحبشي (531- 575م) نقشان يمنيان مكتوبان بالخط المسند، ومؤرخان في منتصف القرن السادس للميلاد، مع فاصل زمني بينهما يبلغ خمس سنوات. ويعرف

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2013.

* قسم اللغة العربية وآدابها, جامعة اليرموك, إربد_الأردن.

النقش الأول منهما بـ "Glasser 618" وقد اكتشفه E. Glasser في سنة 1897[1]، وهو ثاني أطول نقش يمني مكتشف على الإطلاق. أما النقش الآخر فيعرف بـ "Ry 506" نسبة إلى عالم النقوش الألماني G. Ryckmans، الذي اكتشفه ونشره، مع تعليقات عليه، في سنة 1953[2]. ويسجل النقشان أحداث حملتين عسكريتين قادهما أبرهة نفسه، الأولى في جنوبي الجزيرة العربية في حضرموت سنة 542/ 547م، والثانية في وسط الجزيرة العربية في نجد سنة 547/ 552م، حسب اختلاف علماء النقوش في تحديد التاريخ الميلادي المقابل للتاريخ الحميري المنصوص عليه في النقشين[3]. ونقش Glasser 618، بصفة خاصة، يسجل أيضا أنشطة تتعلق بترميم سد مأرب بعد أن تعرض لتصدعات خطيرة جعلت أبرهة ينثني عن مواصلة حملته في حضرموت ويعود أدراجه لمعالجة مشاكل السد. وقد تصدى عدد لا بأس به من علماء النقوش ودارسي تاريخ العرب قبل الإسلام لفك رموز النقشين وشرح مفرداتهما وعباراتهما[4]؛ وكان من أهمهم، بالنظر إلى البحث الحالي، M. J. Kister[5]، أستاذ الدراسات العربية بالجامعة العبرية بالقدس. فقد لفت Kister النظر إلى الجدل الواسع بين علماء النقوش حول من هم بالضبط جماعة "سعد" الذين يذكرهم نقش Ry 506 بوصفهم جزءا من قوات أبرهة خلال حملته في نجد، ثم أورد شعرا للمخبل السعدي، وهو شاعر مخضرم، ووظفه في الوصول إلى نتيجة غير مسبوقة، وهي أن "سعدا" هؤلاء هم بنو سعد التميميون.

إزاء ذلك، يحاول المقال الحالي أن يقدم فهما أدق للعلاقة بين شعر المخبل السعدي وذانك النقشين العائدين إلى زمن أبرهة، وأن يستثمر هذه العلاقة في إعادة التأكيد على شدة التلاحم بين النصين الأدبي والتاريخي في عصر ما قبل الإسلام، بحيث يستحيل فهم أحدهما فهما كافيا إلا في ضوء الآخر.

إن دليل Kister على أن "سعدا" المذكورين في نقش Ry 506 هم بنو سعد التميميون لا يتمثل أساسا في افتخار المخبل السعدي بنفوذ قومه لدى أبرهة ودورهم الفعال في انتصاراته، وإنما في ورود كلمة "حلبان" في كلا النصين. فهذه الكلمة ترد في النقش بوصفها مكانا لمعركة جرت في وسط الجزيرة العربية بين جيش يقوده أبرهة وآخر يقوده عمرو بن المنذر اللخمي ممثلا لأبيه المنذر بن ماء السماء؛ أما المخبل فإنه يذكر الكلمة نفسها بوصفها مكانا لتجمع عسكري حبشي ضم قومه تحت قيادة أبرهة. فالصورة، كما تبدو للوهلة الأولى، مغرية لـ Kister فعلا ليعقد مقارنة بين شعر المخبل ونقش Ry 506، لكن هناك، في الواقع ما يحول دون ذلك، ويرسي، في الوقت نفسه، أساسا لقراءة شعر المخبل في ضوء نقش أبرهة الآخر— Glasser 618؛ وحينئذ فقط يتجلى توافق تام بين النصين. وليس ذلك فحسب، بل إن كلا منهما سيساهم في فهم مادة الآخر وحل مواطن ملغزة فيه. وكان Kister سيصل إلى هذه النتيجة، على الأرجح، لو أنه قرأ نقش Glasser 618 قبل أن يكتب مقاله عن "حملة حلبان"؛ فهو لم يشر إليه في هذا

المقال، على الرغم من أن مصدرين من مصادره، وبالتحديد، Smith في "BSOAS"، وLundin في "Palestynski"، كانا قد علقا في مقاليهما على نقشي أبرهة، وعرضاهما في نصهما الكامل.

وشعر المخبل ذو العلاقة يقع في ثلاثة أبيات من قصيدتين لاميتين؛ بيتان منها يقول فيهما، في رواية الأخفش الأصغر[6]:

ويومَ أبي يَكْسومَ والناسُ حضرٌ على حلبان إذ تقضى محاصله

طوينا له باب الحصين ودونه عزيز تمشى بالحراب مقاوله

والبيت الثالث يقول فيه، في رواية البكري[7]:

صرموا لأبرهة الأمور محلها حلبان فانتقلوا مع الأقوال

أما نقش Glasser 618 فيمكن تقسيمه إلى قسمين، الأول منهما يقدم معلومات عن سير حملة حربية قادها أبرهة في حضرموت واستهدفت جماعات متمردة على سلطته، والثاني يصف سير العمل في ترميم سد مأرب بعد أن أصابته تصدعات بلغت أخبارها أبرهة وهو منهمك في حملته تلك فاضطرته إلى إيقاف الحملة والمسير بجيشه إلى مأرب لإصلاح الخراب الذي أصاب السد، ويذكر أيضا قدوم وفود لتهنئة أبرهة تمثل كلا من ملك الحبشة والإمبراطور البيزنطي والإمبراطور الفارسي، وكلا من ملك الحيرة المنذر بن ماء السماء وملك الغساسنة الحارث بن جبلة. والقسم الأول هو الذي يعنينا، هنا، والجزء المهم منه يجري على النحو التالي، تعريبا عن ترجمة Smith[8]:

وأرسلوا [أي أبرهة وحاشيته] جراح ذو زبنر ليكون حاكما في الشرق، فقتله أتباع **كدار**، وسلبوه. فجمع يزيد [بن كبشة] أولئك المؤتمرين بأمره من كندة وشن حربا على حضرموت، وحاصر مازن، الرجل الهارب، وسليل أناس من عشيرة دمّر، وقفل راجعا إلى عبران. ثم وصلهم الخبر، واستنفرت الحبشة وحمير وجمعوا جيوشهم بالآلاف في شهر **ذو قيضن** من [سنة] 657 [547/542م]. وسار قادة سبأ وتقدموا من صرواح إلى نبط في عبران. وعندما وصلوا نبط كان **كدار** قد عبّأ جنوده. وتأخرت حمير وجمعت معلومات ...، ثم وصلهم يزيد في نبط وقد كف يده عنهم [عن الأعداء] قبل تعبئة الجنود. ثم وصلهم خبر عن سد مأرب أن مراكي السد، وجدرانه، وحوض تجمع المياه، والمنشآت الأمامية قد تهدمت [وذلك] في شهر مدرعان من [سنة] 7. وحين وصلهم هذا الخبر، كان الآبقون [المتمردون] قد قدموا تعهدا حكم عليه العرب سليلو **ود** والمؤتمرون بأمر يزيد بأنه جيد، [ومفاده] أن جميعهم ينبغي أن يكفوا أيديهم، على أن يعطيهم الآبقون رهائن، وعلى أن ينضم أقيال الجيش الذي جمعه **كدار** إلى من خضع. وقد حدد

الملك للقبائل تاريخا إلزاميا [للعمل] في مسايل المياه والتجصيص وتصطيب المصاطب ...، وأخذ عليهم ميثاقا في شهر ذو صربن من [سنة] 7. والآن، بعد أن حددوا التاريخ وحكم عليه العرب بأنه جيد، ساروا إلى مدينة مأرب.

هناك مواطن عدة في هذا النقش، وبخاصة أسماء الأعلام، اختلف في تفسيرها أولئك الذين علقوا عليه من علماء النقوش، لكننا سنتوقف، بحكم حاجتنا الحالية، عند ثلاثة أعلام منها، وهي "ود"، و"ذو قيضن"، و"كدار".

ود

من الواضح أن النقش يشير إلى نفوذ واسع كان "العرب سليلو ود"، كما يسميهم، يحظون به لدى أبرهة. فقد استشارهم هذا الأخير في إمضاء عرض الصلح الذي تقدم به متمردو حضرموت؛ واستشارهم أيضا في تحديد زمن مغادرة عبران (العبر) والمسير إلى مأرب لإصلاح الخراب الذي أصاب سدها؛ وهذا هو بالضبط ما يشير إليه المخبل في قوله "صرموا لأبرهة الأمور," أي "أمضوها"، كما يفهم من تفسير المعجميين[9]. وينسب النقش أولئك العرب إلى "ود"، كما أشرنا للتو؛ وهنا يتعزز الدليل. فبنو سعد، قوم المخبل، يعودون في نسبهم إلى تميم بن مر بن أد بن طابخة؛ وهذا يرجح جدا أن يكون "ود" النقش هم أنفسهم بني أد بن طابخة. في الواقع يحتفظ البكري[10] برواية فريدة يفهم منها أن أبرهة كان يتمتع بنفوذ على نطاق واسع في أوساط خندف: "وكانت خندف حاشيته"؛ وخندف هؤلاء هم طابخة وإخوته، سموا بذلك نسبة إلى أمهم، كما يدعي علماء النسب[11]. وكانت أغلب العشائر الخندفية آنذاك تنتشر في إقليم الحجاز، ومنها هذيل وكنانة وقريش، فضلا عن بني سعد وآخرين من بني تميم أو من بني مر بن أد عموما[12]. ومن الطريف في هذا السياق أن غير بني سعد من أحياء "ود" نجد لهم حضورا في شعر المخبل السابق أيضا، وذلك حين يقول، مباشرة بعد إشارته إلى "باب الحصين" الذي "تتمشى دونه المقاول"، إن الذين يحيطون بقومه من أحياء معد كانوا منقسمين بين حاسد لهم وحانق عليهم:

عَلَيهِ مَعَدُّ حَولَنا بَينَ حاسِدٍ وَذي حَنَقٍ تَغلي عَلَينا مَراجِلُه

ولا شك، كما يبدو، في أن المخبل يريد أن يقول، هنا، إن مكانة قومه لدى أبي يكسوم كانت تثير حسد الآخرين من معد وتبعث على سخطهم. فإذا كان الأمر كذلك، فهذا يتفق مع ما تتضمنه المصادر من أدلة على وجود علاقة مميزة بين بني سعد وعائلة آكل المرار الكندية أثناء حكمها في أوساط قبائل معد، وبصفة خاصة، في الفترة الوسيطة من القرن السادس للميلاد، وهي الفترة التي كان فيها أبرهة حاكما في اليمن. فبنو سعد هم الذين وفروا الحماية لأسرة حجر بن الحارث بن عمرو حين قتل في ثلاثينيات القرن السادس، ونقلوها إلى مأمنها في نجران، حسب

رواية منقولة عن غير سلسلة سند واحدة[13]، وموثقة بشعر لامرئ القيس بن حجر الكندي غير مشكوك فيه[14]. وعلاقة بني سعد المميزة بكندة يستدل عليها من طريق آخر. فبنو سعد هم الذين احتكروا، في تلك الفترة، حق الإجازة بالناس في موسم الحج، كما تتضمن رواية لابن إسحق[15]؛ وكان هذا الحق، تبعا لرواية فريدة ينقلها السهيلي[16]، امتيازا يمنحه ملك كندة لمن شاء من رعيته. ومن اللافت للنظر، هنا، أن امتياز الإجازة بالناس في الموسم كان ممنوحا عشية الإسلام لصفوان بن الحارث بن شجنة السعدي ولأبنائه من بعده، كما يذكر ابن إسحق. وصفوان هذا هو ابن أخي عوير بن شجنة، الذي أثنى عليه امرؤ القيس[17] بسبب حمايته لآل بيته بعد مقتل أبيه[18].

والواقع أن ارتباط بني سعد السياسي بكندة استمر حتى بعد خروج الأحباش من اليمن. فقد تألف الفرس كندة ومنحوها تفويضا بحكم القبائل العربية في البحرين، فانتقلت، كما نفهم من رواية فريدة يحتفظ بها البكري، من الحجاز، حيث كانت تقيم في عهد أبرهة، إلى البحرين حيث بنى ملكها معاوية بن الحارث حصن المشقر المشهور[19]. وهناك، في البحرين، ظهر بنو سعد بوصفهم أصحاب نفوذ واسع في بلاط معاوية بن الحارث، كما يستدل من أحداث يوم الفروق[20]. ويبدو أنهم كانوا يقيمون في الحجاز أصلا وأنهم رافقوا كندة حين انتقلت إلى البحرين.

ذو قيضن

يبدو أننا، هنا، أمام أطرف جوانب التوافق بين شعر المخبل ونقش Glasser 618. فالمخبل يذكر أن العملية العسكرية التي نفذها قومه لصالح أبرهة حين كان جيشه مجتمعا في حلبان قد تمت في وقت "تقضي المحاصيل" ("والناس حضر على حلبان إذ تقضى محاصله"). وقد فهم شراح الشعر كلمة "تقضى" على أنها تعني "تجمّع"[21]، في حين تصرف فيها Kister فترجمها "consumed"[22]، أي "استهلكت" ("when its products were consumed")، وهو، في ذلك، كما يبدو، يتابع المعجميين في قولهم "انقضى الشيء وتقضى بمعنى [واحد]؛ وانقضاء الشيء وتقضيه: فناؤه وانصرامه."[23] لكن الشراح لم يتابعوا المعجميين، موحين بأنهم لم يجدوا تفسيرهم مناسبا؛ وعلى أية حال، فإن تفسيرهم لا ينسجم مع السياق، وكذلك تفسير Kister؛ إذ بينما يشير المخبل إلى حيز ممتد من الزمن يؤطر أعمالا حربية، فإن الشراح وKister جميعا يفسرون الكلمة بعيدا عن أي إطار زمني.

ومهما يكن من أمر، فالكلمة تجد تفسيرا مقنعا إذا قرئت في ضوء النقش. فحملة أبرهة في حضرموت وقعت في شهر "ذو قيضن"، كما هو مدون في النقش؛ فإذا كان المخبل يتحدث عن مناقب قومه في تلك الحملة، كما اتضح أعلاه، فمن المؤكد، كما يبدو، أن عبارة "إذ تقضى محاصله" في شعره تعني "حين دخلت زروعه وثماره في شهر ذو قيضن". وهذا الشهر يقابل

شـهر حزيـران June) فـي تقويمنـا الحـالي[24]. ومـن الطريـف أن اليمنيـين كـانوا يطلقـون اسـم "القياظ" على المحاصيل نفسها التي تقطف في هذا الشهر، "فتجتمع في الأسواق جميع الفواكه على اختلاف أصنافها وأنواعها، كما يخبرنا الأكوع الحوالي[25].

كدار

هو اسم الجهة المستهدفة بحملة أبرهة. ويرد هذا الاسم في النقش في صورة "ك د ر" (KDR)؛ وكان جلاسر[26] هو من أول من لفظه "كِدار" (Kidar) ابتداء، ثم جاء المعلقون على النقش بعده، ومنهم Smith[27] وجواد علي[28] ومحمد بافقيه[29]، فتبنوا اللفظ نفسه، لكن مع اعترافهم، هم وجلاسر، بالغموض المحيط به. في مقابل ذلك، يذكر المخبل، في كل من رواية المفضل والأصمعي، أن قومه طووا لأبرهة باب الحصين ("طوينا له باب الحصين ودونه عزيز يمشي بالحراب مقاوله")؛ والشراح، من جانبهم، قالوا إنه يريد بـ "الحصين" الحصن والقصر[30]. لكن هناك رواية مختلفة للبيت يحتفظ بها الهمداني[31]، تضمنت عددا من التغييرات، فقد جاءت هذه الرواية بـ "فتحنا" مكان "طوينا" وبـ "الخضير/ الحضير" مكان "الحصين" ("فتحنا له باب الخضير/الحضير). ويعلق الهمداني على البيت قائلا: "ومن رواه "الخضير" أراد ملكا من الملوك، ومن رواه "الحضير" أراد الحضر،" أي أن الهمداني لم يكن يعرف رواية "الحصين"، وهذا يدل على أن الكلمة في روايتي المفضل والأصمعي مصحفة عن "الخضير/الحضير". وهكذا، يبدو أننا أمام جانب طريف آخر من التطابق بين مادة الشعر ومادة النقش، بحيث يمكن تصحيح قراءة كل منهما في ضوء الأخرى. أي أن "ك د ر" في النقش يجب أن تقرأ "كدير" وليس "كدار، كما قرأها جلاسر وآخرون، وفي المقابل، فإن كلا من روايات "الحصين" و"الحضير" و"الحصير" في شعر المخبل تبدو تصحيفا عن "الخضير". ولا ينبغي لموقع "حلبان" أن يشوش على هذه النتيجة، إذ إن البلدانيين مختلفون في تحديده. ففي حين يجعله ياقوت بالقرب من نجران، إلى الشمال من صنعاء، فإن البكري يجعله في أرض الأخروج بين حضور وحدان، أي إلى الغرب قليلا من صنعاء[32]. فإذا كان أحد هذين الرأيين هو الصحيح فمن الأرجح أن المخبل يشير في شعره إلى اجتماع منفصل عن حملة حضرموت. لكن من المحتمل جدا أن تكون "حلبان" اسما لمواضع مختلفة في الجزيرة العربية، واحد منها يقع في نجد، وآخر يقع في طريق حملة أبرهة إلى حضرموت، فضلا عن الموضعين اللذين يشير إليهما كل من ياقوت والبكري؛ فهذا مألوف في أسماء المواضع والمياه في بلاد العرب.

وهكذا، إذا صحت التحقيقات السابقة، فإنها تؤكد أن لا صلة لنقش Ry 506 بشعر المخبل السعدي كما ظن Kister، لكن من غير أن تعني هذه النتيجة أن بني سعد التميميين لم يلتحقوا

بحملة أبرهة في وسط الجزيرة العربية ويشاركوا في معركة حلبان هناك؛ في الواقع، حتى في غياب هذه التحقيقات، فإن النظر في نقش Ry 506 لا يساعد في إقامة صلة بينه وبين شعر المخبل.

Ry 506

اعتمد Kister، في الربط بين هذا النقش وشعر المخبل، أولا، على ورود كلمة "حلبان" في كل منهما، وثانيا، على ذكر "سعد" في النقش بوصفها كلمة ترمز إلى جماعة قبلية موالية لأبرهة وتنفذ عمليات حربية لصالحه، وهو ما يتغنى به المخبل في شعره. ويجري نص هذا النقش كما يلي، منقولا عن ترجمة Beeston[33]:

بعون الرحمن ومسيحه، سطر الملك أبرهة [ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت، وملك العرب في العالية وتهامة][34] هذا النقش حين غزا معدا في الربيع، في شهر ذو ثبتن، لما ثار بنو عامر كلهم. فقد أرسل الملك "ب ج ب ر" مع كندة وأهل العالية، وأرسل بشر بن حصن مع سعد، فقام هذان القائدان بشن الحرب والقتال: كندة ... في واد في طريق تربن [تُرَبة]، وقتلوا وأسروا وأحرزوا غنائم مرضية. من جانب آخر، قاتل الملك في حلبان، فانهزمت معد، وأرغمت على إعطاء رهائن. بعد هذا كله، تفاوض عمرو بن المنذر مع أبرهة ووافق على أن يعطيه رهائن من المنذر، لأن المنذر كان قد عهد إليه [إلى عمرو] بحكم معد. وهكذا، عاد أبرهة من حلبان بحول الرحمن.

عند التأمل جيدا في هذا النص يتبين أن Kister لم يكن مضطرا إلى قراءته في ضوء شعر المخبل السعدي. فأولا وقبل كل شيء، لا يمثل افتخار المخبل بما كان يتمتع به قومه من قوة ونفوذ في مملكة أبرهة دليلا حاسما على أن "سعدا" المذكورين في النقش هم بنو سعد التميميون؛ فالقبائل العربية الشمالية المتحالفة مع أبرهة كانت تشتمل على عشائر كثيرة تحمل كل منها اسم "سعد"، سواء تلك التي اقترحها المعلقون على النقش، مثل سعد العشيرة المذحجيين[35]، وسعد بني مالك اليمنيين[36]، وسعد ظواهر قريش[37]، أو غيرها. يضاف إلى ذلك أن عبارة "تقضى محاصله" في شعر المخبل إنما تعني، في أي تفسير كان، زروعا وثمارا قطفت أو حان وقت قطافها؛ أي أن المخبل يذكر أحداثا وقعت في موسم الصيف، في حين يخبرنا النقش أن حملة حلبان وقعت في موسم الربيع، في شهر ذو ثبتن. حتى ما يقوله المخبل من أن قومه قاتلوا ملكا يتكون جيشه من المقاول إنما يمثل وضعا لا يصدق على القبائل العربية الشمالية، لأن سادتها لم يكونوا يسمون "مقاول"، بل كان هذا الاسم متعارفا عليه بين أهل اليمن، وبخاصة الحميريين منهم، المنتشرين في المناطق القريبة من سواحل بحر العرب[38]. وهناك شيء آخر. ففي حين يظهر موضع "حلبان" في نقش Ry 506 بوصفه مسرحا لمعركة كبيرة خاضها أبرهة ضد جيش لخمي يقوده عمرو بن المنذر بن ماء السماء، فإن المخبل يذكره بوصفه محطة نزلت فيها قوات أبرهة، وانطلقت منها بعض عملياته الحربية، وتم فيها اتخاذ القرار بمسير الجيش [إلى

مأرب] بعد أن أمضاه بنو سعد. فنقش Ry 506، إذن، يحتوي على عدد من الحقائق لا يستقيم معها قراءته في ضوء شعر المخبل.

ومع ذلك، ينبغي أن يكون هناك أساس لقراءة "حلبان" في شعر المخبل السعدي بمعزل عن "حلبان" في نقش Ry 506؛ ولحسن الحظ، تتضمن المصادر ما يوفر هذا الأساس. فالبكري يترجم لـ "حلبان" ويقول، مقتبسا الهمداني كما يبدو: "حلبان، بضم أوله، بعده باء معجمة، مدينة باليمن، في سافلة حَضور،" ثم ينقل عن الهمداني قوله: "حلبان من أرض الأحروج، بين حضور وحدان،"[39] أي على الطريق إلى حضرموت من مدينة مأرب. ولا يذكر البكري موضعا آخر باسم حلبان، لكن ياقوت الحموي[40] يترجم لموضعين بهذا الاسم، أحدهما "باليمن قرب نجران"، كما يقول، والآخر ماء لبني معاوية بن قشير العامريين، في نواحي اليمامة، كان مسرحا لغارة شنها عليهم بنو حنيفة في الإسلام، كما نفهم من ابن الأثير[41]. وقد أثبت ثيلو (Thilo)[42] الموضع على خارطته للنصف الشمالي من الجزيرة العربية، ولفظه "Haliban"، بفتح أوله وكسر ثانيه، على الرغم من أن المعجميين[43] يلفظونه "حَلَبان" بفتح أوله وثانيه، لكن دون أن يذكروا أين يقع سواء في اليمن أو في نجد. ومن الطريف أن Kister[44] اعتمد تهجئة البكري، أي "حُلُبان"، بضم أوله وثانيه، وهو يقصد حلبان نجد، مع أن البكري لا يتحدث عن موضع في نجد، بل في اليمن، فضلا عن أنه يروي شعر المخبل السعدي على أنه يتعلق بحلبان اليمن؛ أي أن Kister أساء اقتباس البكري كي يقيم صلة بين شعر المخبل ونقش Ry 506. ومهما يكن من أمر، فإن وجود موضع باسم "حلبان" يقع في اليمن على الطريق من مأرب إلى حضرموت، أو قريبا من ذلك، إنما يغلق دائرة الدليل على صلة شعر المخبل السعدي بنقش Glasser 618. وهكذا يتضح حجم التوافق بين وثيقة تاريخية تسجل جانبا من تاريخ الحكم الحبشي في الجزيرة العربية في القرن السادس للميلاد، من ناحية، وشعر جاهلي يتحدث في الموضوع ذاته بعد حوالي ثلاثة أرباع القرن من حدوثه، من ناحية ثانية. فالقصائد الجاهلية الصحيحة، إذن، ينبغي أن ينظر إليها على أنها وثائق لا تقل في قيمتها التاريخية عن النقوش، وعن الكتابات القديمة عموما.

كلمة أخيرة

إن نتيجة قراءة هذين النصين قبل الإسلاميين أحدهما في ضوء الآخر لا تقف عند حد تصحيح بعض عباراتهما وإزالة اللبس في عبارات أخرى، أو عند حد الكشف عن الدلالات الحقيقية لمصطلحات جغرافية، ولكنها تتجاوز ذلك إلى إعادة تأكيد الارتباط الوثيق بين مصادر الأدب والتاريخ فيما يتعلق بدراسة العصر الجاهلي. وكانت الاهتمامات العلمية لأسلافنا شاهدا على هذا الارتباط. فقد آمنوا منذ بزوغ فجر الحركة الثقافية في الإسلام بأن "الشعر ديوان العرب،" فأدركوا بذلك حقيقة التكامل بين النصين الأدبي والتاريخي بوصفها مصدرين متلازمين سواء

لدارسي تاريخ العرب القدماء أو لدارسي أدبهم. وقد تجلت هذه الحقيقة على أفضل وجه في إنتاج الرعيل الأول من علماء عصر التدوين، فكان أهل الأشعار منهم هم أنفسهم أهل الأخبار، وكان المشتغلون برواية الشعر ورواية اللغة، مثل أبي عمرو بن العلاء والمفضل الضبي والأصمعي وأبي عبيدة وابن الكلبي والهيثم بن عدي وأبي عمرو الشيباني وأبي حاتم السجستاني، وعشرات غيرهم، يحسبون في عداد المؤرخين أيضا.

لكن هذا الرعيل، ومعهم علماء الأجيال اللاحقة، الذين كانوا ينقلون عنهم في الغالب الأعم، كانت لديهم نواقصهم لأسباب فرضتها طبيعة المرحلة الحضارية. فلم يكن لهم، مثلا، مدخل إلى المصادر غير العربية، من لاتينية وإغريقية وسريانية، فضلا عن النقوش اليمنية، فغابت عنهم لذلك معلومات ضرورية جدا، سواء لتوضيح المشهد التاريخي العام أو لتجنب الانزلاق إلى أحكام خاطئة وتفسيرات بعيدة. حتى وصولهم إلى المصادر العربية نفسها لم يكن سهلا، بسبب ندرتها، أولا، ومشقة الرحلة إليها، ثانيا. وكانت مناهجهم في النقد والتحليل والتفكيك والربط مازالت تتطور، فغلب عليهم التأليف والنقل، وشح لديهم البحث والتمحيص. وكانت معتقداتهم الدينية مرجعا لكثير من ملاحظاتهم وتعليقاتهم واستنتاجاتهم في ميادين الأدب واللغة والتاريخ والسير، فجاءت رؤاهم مشوشة يعوزها المنطق في غير قليل من الأحيان. ولم يكن الزمن في أذهانهم واضح الأبعاد والملامح، فوقعوا من ثم في اضطراب شديد على هذا الصعيد؛ ومع أنهم كانوا يدركون أن بعض نقولاتهم ينكرها العقل ويستهجنها المنطق، وأحيانا ينفجرون بالتذمر من هذه الحالة، إلا أنهم كانوا عاجزين عن سد الثغرة وإصلاح الخلل.

وقراءة شعر المخبل السعدي في ضوء النقوش، كما بدت في هذا البحث، تمثل دليلا واضحا على أن الأخباريين وشراح الشعر الجاهلي على السواء لم يكونوا في جميع الأحوال موصولين بالأصل، وعلى أن النصين التاريخي والأدبي ينطوي كل منهما على إمكانات هائلة لفهم الآخر. ومع أننا في هذا العصر في موقع أفضل للتعامل مع تلك الإمكانات، فلا مناص من الاعتراف بأن محاولاتنا في هذا الاتجاه مازالت غير كافية، وأننا مازلنا، من حيث الأطر العامة أساسا، نتبنى اعتقادات أسلافنا، ونهمل متابعة ما يتناثر في المصادر من إشارات لا تتفق مع هذه الاعتقادات.

فعلى صعيد الإطار العام للصورة التاريخية، يشير الفحص المتكامل للنصين التاريخي والأدبي، مثلا، إلى أدلة قوية على عدم صحة اعتقادنا بضعف الارتباط السياسي لقبائل الجزيرة العربية قبل الإسلام وما ترتب على ذلك من انفلات في علاقات هذه القبائل. فنحن نعتقد، عربا ومستشرقين على السواء، أن سلطة الأنظمة السياسية العربية آنذاك اقتصرت على أشرطة ضيقة من الأرض في الشام والعراق والبحرين وعمان واليمن ولم تشمل مناطق الداخل، وأن القبائل في هذه المناطق كانت تغوص في بحر من العداوات والثارات والحروب. لكن الأدلة الحقيقية تشير

إلى أن حالة الفوضى في علاقات القبائل قبل الإسلام، كما تظهر في المصادر، لم تكن سوى إفراز لمرحلة انتقالية انهار فيها تدريجيا النظام السياسي العربي، المتمثل آنذاك في اللخميين والغساسنة وكندة، وتفتت من ثم ائتلافاته القبلية. وقد حدث ذلك في أواخر القرن السادس للميلاد واستمر حتى جاء الإسلام ونجح في تقديم نفسه نظاما سياسيا بديلا. أما السبب فإنه يعود إلى تغير جذري في ملامح الصراع بين الإمبراطوريات المجاورة، أدى تلقائيا إلى إعادة النظر في سياساتها التقليدية في الجزيرة العربية. وهكذا، فإن ما لا نعرفه في تاريخ العرب في عصر الشعر الجاهلي هو أن جاهليتهم آنذاك، بمعنى: حياتهم القائمة على الغزو والسلب والنهب وسفك الدماء، أي بربريتهم، لم تكن سوى حالة طارئة قد تحدث في أي زمان وأي مكان ينشأ فيه فراغ سياسي. في الواقع، حين ننظر في مدونة أيام العرب قبل الإسلام، وفيها أخبار ما يزيد على أربعمائة يوم، فإنا نجدها كلها، باستثناء عدد قليل جدا، تعود في تاريخها إلى تلك الفترة الانتقالية. وما يزيد في سلبية هذا الوضع أن جاهلية العرب، بهذه الأبعاد المتوهمة، قد تم توظيفها في تفسير تطورات كبيرة حدثت في الإسلام. فالردة والحرب الأهلية الأولى في الخلافة، مثلا، تم فهمهما إزاء مقولة دارجة تتهم القبائل العربية برفض مبدأ الخضوع للسلطة المركزية.

وعلى صعيد الإطار العام للصورة التاريخية أيضا، يكشف الفحص المتكامل للنصين التاريخي والأدبي، في مثال آخر، عن أدلة قوية على أن جزءا ضخما من تاريخ مملكة الغساسنة قد تم تجييره لحساب مملكة الحيرة. فقد تشابهت أسماء عدد غير قليل من ملوك هاتين المملكتين، وتشابهت كناهم وألقابهم أيضا؛ إذ تسموا بـ "المنذر" و"النعمان" و"عمرو" و"قابوس" وتكنوا بهذه الأسماء كلها. وكان بعض من تشابهت أسماؤهم وكناهم متعاصرين، يحكمون أو ينشطون في وقت واحد. فلما تظافر هذا مع ضعف الحس الزمني لدى رواة التاريخ ونقص أدواتهم وقصور مناهجهم، ومع تفوق اللخميين على صعيد الشهرة، وذلك لأن رواية التاريخ ازدهرت في أماكن كانت مقرات لحكمهم، ولأن من رووا التاريخ كانوا رجالا ينتمون إلى قبائل كانت تدين بالولاء لهم، كان من الطبيعي أن تنسب إليهم إنجازات وأعمال وعلاقات هي من صنيع نظرائهم الغساسنة؛ ويبقى من واجب المؤرخ أن يعيد فرز الأحداث وينسب إلى كل فريق ما هو له، لكن هذا المؤرخ لا يستطيع أن يفعل ذلك من غير مساعدة الشعر. وهنا، قد يشار إلى مثال واحد فقط من بين عشرات الأمثلة. فللنابغة قصيدة رائية يقول فيها:

لقد نهيت بني ذبيان عن أقر وعن تربعهم في كل أصفار

والاعتقاد الشائع هو أن هذه القصيدة تدخل في باب اعتذاريات النابغة من ملك الحيرة النعمان بن المنذر، لقوله في نهايتها:

وعيرتني بنو ذبيان خشيته وهل علي بأن أخشاك من عار

لكن هذا الاعتقاد ينهار من أساسه فورا عند التدقيق في الشطر الثاني من البيت. فالنابغة كان يطلب من قومه ألا يرعوا مواشيهم في ذي أقر كلما حل شهر صفر في موسم الربيع. الآن، نعرف من التقويم الشمسي، فيما يتعلق بفترة إنشاد تلك القصيدة، أن شهر صفر كان يحل في موسم الربيع كليا أو جزئيا في السنوات ما بين 603 و609م؛ وما دام النابغة يتحدث عن مرور عدد من السنوات كان شهر صفر يحل فيها في الربيع آنذاك، فإن تاريخ القصيدة يرجع حتما إلى ما بعد سنة 606م، أي أن القصيدة أنشدت بعد بضع سنوات من سقوط مملكة الحيرة، وبالتالي، لا صلة لها بالنعمان بن المنذر من قريب ولا بعيد، وإنما قالها النابغة في إطار توتر دائم وسم علاقة ذبيان بالغساسنة. وهكذا، بدلا من أن تدون هذه القصيدة، بكل ما تشتمل عليه من تفاصيل تاريخية مهمة، في سجل علاقة الغساسنة بالقبائل، وجدناها تدون في سجل علاقة اللخميين بالقبائل. في الواقع، قد يظهر، عند الدراسة المتمحصة لشعر النابغة، أن كثيرا من قصائده تمثل حالات مشابهة؛ وإذا كان الأمر كذلك، فإن ما يبدو على السطح من حقائق الارتباط السياسي للقبائل يستدعي إعادة نظر.

أما على صعيد الإطار العام للصورة الأدبية في عصر ما قبل الإسلام فإن الفحص المتكامل للنصين التاريخي والأدبي يكشف عن حدود زمنية للشعر الجاهلي الموثوق ليست هي التي نعرفها؛ وقد تولت السياسة رسم هذه الحدود. فما نعتقده من أن هذا الشعر يتغلغل في كل الفترة الواقعة بين اندلاع حرب البسوس في أواخر القرن الخامس للميلاد وانتشار الإسلام في الجزيرة العربية في وقت مبكر من القرن السابع إنما هو اعتقاد مبني على أحكام خاطئة فيما يتعلق بالارتباطات السياسية للشعراء الجاهليين—أحكام نتابع فيها أسلافنا من الأخباريين وشراح الشعر. أما الصحيح، كما تشير الأدلة، فإن كل الشعر الجاهلي تقريبا هو من نتاج عشية الإسلام، وبالتحديد، فترة الأربعين عاما ما بين تسعينيات القرن السادس للميلاد وثلاثينيات القرن السابع. وهذه الفترة مثلت المرحلة الأخيرة بين ثلاث مراحل سياسية. فالمرحلة الأولى مثلتها حرب البسوس التي كانت حربا بالنيابة بين اللخميين وكندة، والتي أسدل الستار على فصلها الأخير في ثلاثينيات القرن السادس، وذلك بتأسيس ائتلاف مَعدّي قبلي عريض تابع للحيرة، ضم الصحاري المترامية بين الخليج والفرات شرقا وتخوم الحجاز غربا، أي ضم جميع بيئات الشعر الجاهلي الرئيسية. وقد بقي هذا الائتلاف قائما حتى أواخر القرن السادس حين بدأت العلاقات بين أعضائه تضطرب بفعل تغير جذري في السياسة الفارسية الخارجية أدخله خسرو أبرويز عندما تولى الحكم في سنة 591م. فهذه هي الفترة الثانية من تلك الفترات السياسية الثلاث، وهي فترة غير ممثلة فيما وصل إلينا من الشعر الجاهلي، في حين تمثلت الفترة الأولى في عدد قليل جدا من المقطوعات غير الموثوقة في الغالب، فضلا عما ثبت من شعر امرئ القيس الكندي. ومن غير المستغرب، في الواقع، أن تكون الفترة الثانية، ويمكن تسميتها "فترة ائتلاف معد اللخمي"، غير

ممثلة في مرويات الشعر الجاهلي. فوظيفة هذا الشعر وروايته على السواء إنما تمثلت أساسا في حفظ التاريخ القبلي بما فيه من مآثر وفضائل ومناقب؛ ولما كان هذا التاريخ يسطر في ساحات القتال حيث كانت تجود قرائح الشعراء وتفيض إلهاماتهم، كما لاحظ ابن سلام، فإن انتظام علاقات القبائل في تلك الفترة أنتج، كما يبدو، شعرا فقد المنافسة على الخلود.

أما كيف تشوهت في أذهان أسلافنا صورة الحدود الزمنية للشعر الجاهلي، فأمر يفسره التباس هوية الشخصيات السياسية المذكورة كثيرا في أشعار أصحاب الطبقات الأولى من الشعراء الجاهليين. فواحد من هذه الشخصيات، مثلا، وهو عمرو بن هند، يظهر دائما، سواء في شروح القدماء أو في دراسات المحدثين، بوصفه عمرو بن المنذر بن ماء السماء، ملك الحيرة في أواسط القرن السادس. لكن أصبح ثابتا الآن أن "عمرو بن هند" هذا الذي يذكره الشعراء هو اسم يراد به أحيانا أمير غساني نشط في آخر القرن السادس للميلاد وأول السابع، وأحيانا أخرى، أمير لخمي معاصر له. وفي حين تؤكد هذه النتيجة مسألة التجيير في تاريخ الغساسنة، فإنها تعني أن هناك نماذج كثيرة جدا من الشعر الجاهلي ينبغي أن تحرك زمنيا من أواسط القرن السادس إلى أواخره، وتعني أيضا أن ذلك العدد الكبير من الشعراء الجاهليين الذين أضيفوا إلى قوائم المعمرين إنما أضيفوا إليها قسرا.

والصورة الأدبية للعصر الجاهلي تحتوي على ملامح كبيرة أخرى قابلة للتغيير في ضوء قراءة تكاملية للنصين التاريخي والأدبي العائدين إلى فترة ما قبل الإسلام. فمثلا، لشدما درجنا، بصفتنا مشتغلين بالأدب العربي القديم، على تفسير وحدة لغة الشعر الجاهلي بالاعتماد على مقولة نفوذ قريش الديني والتجاري، واعتقدنا اعتقادا راسخا بأن قريشا هي التي وحدت، بفعل ذلك النفوذ، لغة الشعر والأدب عموما في الجزيرة العربية. لكن ما كنا لنعتقد هذا الاعتقاد لو أن اهتمامنا بمصادر تاريخ العرب قبل الإسلام كان كافيا. فهذه المصادر لا تحتوي وحسب على حقائق تنفي أية صلة بين دين قريش وتجارتها، من جهة، ولغة الشعر الجاهلي، من الجهة الأخرى، وهو ما وضحه جواد علي قبل نصف قرن من الزمن، بل إنها تحتوي على حقائق أخرى تساعد في تقديم تفسير مقنع لوحدة اللغة تلك. فمن هذه الحقائق نعرف أن اللغة العربية الشمالية كانت، حتى نهاية القرن الثاني للميلاد، محصورة في غربي الجزيرة العربية في الأراضي الممتدة من نواحي يثرب شمالا إلى نواحي صعدة جنوبا، وأن الناطقين بها كانوا عدنانيين وقحطانيين ورثوا النفوذ الإسماعيلي هناك بعد أن هاجر هذا النفوذ إلى الشمال. ومن هذه الحقائق نعرف أيضا أن هؤلاء العدنانيين والقحطانيين اقتنصوا فرصا مواتية أتاحتها اختلالات سياسية، فمدوا نفوذهم في أوائل القرن الثالث للميلاد، أولا، إلى نجد حيث كانت تقطن قبائل طسم وجديس، ثم إلى المناطق الشرقية والشمالية من الجزيرة العربية، حيث كانت تقطن قبائل عاربة أخرى. ولأنهم أصبحوا هم أصحاب السلطة السياسية في كل أرجاء الجزيرة العربية، باستثناء جنوبي اليمن، حيث كان يحكم

الحميريون، فقد تسلقت جميع القبائل العاربة على شجرات أنسابهم وتركت، وهو الأهم، لغاتها ونطقت بلغتهم. وبهذه الطريقة أصبحت الجزيرة العربية عدنانية قحطانية في العرق واللغة معا. الآن، حين نطقت القبائل العاربة باللغة العدنانية القحطانية فإنها فعلت ذلك تحت تأثير الأنظمة الصوتية والدلالية للغاتها القديمة؛ وهكذا تعددت اللهجات داخل العربية الشمالية. أما الشعر، وقد امتد بنفوذه هو الآخر إلى الوسط والشمال والشرق، فقد حافظ على تقاليده، ومن أبرزها اللغة، فلم يتأثر بتعدد اللهجات. وهذه الحالة أعادت نفسها في الإسلام على نطاق أوسع. فبعد أن فرض العرب هيمنتهم السياسية في العراق والشام ومصر وشمالي أفريقيا، ذابت الشعوب هناك في العرق العربي، وتركت لغاتها ونطقت باللغة العربية. وبما أنها نطقت بها متأثرة بالأنظمة الصوتية والدلالية للغاتها القديمة، فقد نشأت اللهجات العراقية والشامية والمصرية والشمال أفريقية، لكن الشعر الذي خرج من الجزيرة إلى المناطق المفتوحة تلك حافظ على تقاليده، فاستمر موحد اللغة في بيئات متعددة اللهجات.

وهكذا، لنؤكدْ مرة أخرى أن دارس الأدب الجاهلي يجدر به ألا يستغني عن مصادر تاريخ العرب قبل الإسلام، وفي طليعتها النقوش وسائر الكتابات القديمة ذات العلاقة، وأن المشتغلين بهذا التاريخ، في المقابل، لا يمكن أن تكتمل أدواتهم إلا بالرجوع إلى مصادر الأدب العربي القديم، وفي طليعتها مجاميع الشعر الجاهلي. أما البحث في أدب تلك الفترة بمنأى عن تاريخها، أو البحث في تاريخها بمنأى عن أدبها، فإنه مدعاة للوصول إلى نتائج غير دقيقة.

On the pre-Islamic poetry and Yamanite inscriptions

Irsan Ramini, *Arabic Dept., Yarmouk University.*

Abstract

This paper comprises a reading of a Yemenite inscription in the light of some poetic verses attributed to the well-known Jahili poet al-Mukhabbal of B. Sa'd of Tamim. At the same time, the paper makes use of this archeological material for correcting certain comments given by Arab linguists on those verses. The inscription under discussion records repair works done to the Damp of Ma'rib and harbors good details about a military campaign that took place in Hadramawt under the leadership of the Abyssinian Abraha in 542/547 A.D. Al-Mukhabbal, for his part, boasts of his people's fighting alongside Abraha at a place called Huluban and of their high status in his kingdom as well. This paper has re-examined both materials and proved that they belonged to the same occasion. It has also employed al-Mukhabbal's verses in establishing the right reading of some obscure data in the inscription and in removing the ambiguities of other data. On the other hand, it has benefited from the inscription, first, in defining the exact meaning of some of al-Mukhabbal's words and, second, in determining the real account of his verses. Then, the paper took advantage of these findings so as to highlight the strong links between poetic and historical materials as regards the pre-Islamic era; it asserts that the student of each field of knowledge needs to consult the other field's sources for conducting more secure research.

قدم البحث للنشر في 2010/12/16 وقبل في 2011/5/15

الهوامش

[1] Glasser, E., "Zwei Inschriften uber den Dammbruch von Marib" (Ein Beitrag zur Geschichte Arabiens im 5. u. 6. jahrhudert nach Chr)," *Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaf*t 2 (1897), pp. 390f.

[2] Ryckmans, G., "Inscriptions Sud Arabes," *Le Museun* (Revue D'etudes Orientals Tijdschrift Voor Orientalisme) 66 (1953), pp. 275f.

[3] غالبية علماء النقوش يؤرخون النقشين بـ 542 و547م على التوالي، لكن Beeston (Beeston, F., "Notes on the Murieghan Inscription," *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* 26 (1954), p. 491 note 2) يورخهما بـ 547 و552م، في حين يؤرخهما Smith (Smith, S., "Events in Arabia in the Sixth Century A.D," *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* 26 (1954), pp. 436) بـ 537 و542م.

[4] ممن علق على النقش الأول: Praetorius, F., "Bemerkungen zu den beiden grossen Inschriften vom Dammbruch zu Marib," *Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft* 53 (1899; Lundin, A. G., "Ratsvet I padenie Khym'iaritskogo gosudarstva," Palestynski Sbornickh 71 (1961), pp. 61f.; Smith, *BSOAS* 26, pp. 437f. جرجي زيدان، **العرب قبل الإسلام**، بيروت، 1966، صص 210- 211؛ جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، بغداد، 1950- 1959، ج 3 صص 483-؛ محمد بافقيه، **تاريخ اليمن القديم**، بيروت، 1985، صص 159-. وممن علق على النقش الثاني: Ryckmans, J., "Inscriptions historiques Sabeennes," *Le Museon* 66 (1953), pp. 339f.; Caskel, W., *Entdeckungen in Arabien*, Koln & Opladen, 1954, pp. 27f.; Beeston, *BSOAS* 26, 389f.; Smith, *BSOAS* 26, pp. 435f.; Lundin, *Palestynski* 71, pp. 73f.; جواد علي، **مفصل**، ج3 ص 493.

[5] Kister, M. J., "The Campaign of Huluban: A New Light on the Expedition of Abraha," *Le Museon* 78 (1965), pp. 425f.

[6] الأخفش، أبو الحسن علي بن سليمان، **الاختيارين**، تحقيق فخر الدين قباوة، دمشق، 1974، قصيدة 112. قارن طبعة Dacca، التي اعتمدها Kister. وفي رواية البيت الثاني اختلاف كثير: طوينا/ فتحنا؛ الحصين/ الحصير، الحضير، الخضير؛ ودونه/ وربه؛ بالحراب/ بالسيوف؛ مقاوله/ أراجله؛ ومن الواضح أن بعض هذه الاختلافات ناتج عن تصحيف (انظر: ابن المبارك، **منتهى الطلب من أشعار العرب**، تحقيق سيدة حامد، القاهرة، دار الكتب، 1999؛ الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد، **الإكليل** (مخطوط)، برلين، 2/1، ورقة 109ب (عن Kister, *Le Museon* 78, p. 432).

[7] البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، القاهرة، 1951، مادة "حلبان"؛ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، بيروت، 1968، مادة "حلبان".

[8] *BSOAS* 26, pp. 437- 439.

[9] انظر ابن منظور، **لسان**، مادة "صرم". وقد ترجم Kister (*Le Museon* 78, p.432) شطر البيت كالتالي: "They decided for Abraha the actions of war"، لكن بالنظر إلى Glasser 618 فإن المخبل يعني، بصيغة أدق، أن قومه قد أمضوا الاتفاق الذي عقده أبرهة مع متمردي حضرموت، وصدقوا على التاريخ الذي حدده للعودة إلى مأرب.

[10] **معجم**، ص 461 (مقتبسة في Kister, *Le Museon* 78, p. 432).

[11] انظر ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: دار المعارف، 1982، ص 14.

[12] تذكر المصادر أن بني حميس بن أد قاتلوا مع أبرهة في حملة "الفيل" (انظر Kister, *Le Museon* 78, p. 433).

[13] انظر الإصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، **الأغاني**، القاهرة: دار الكتب، 1927- 1974، ص 85 (عن كل من أبي عمرو الشيباني والهيثم بن عدي)؛ ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، **الشعر والشعراء**، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة، 1966- 1967، ص 115.

[14] انظر امرؤ القيس بن حجر، **الديوان**، تحقيق محمد أبو الفضل، القاهرة، 1958، قصيدة: 7، 19، 20. وهذه القصائد رواها المفضل الضبي والأصمعي، وروايتهما وصفت من قبل الطوسي بأنها وحدها الصحيحة وبأن سواها إما منحول أو موضوع (انظر مقدمة المحقق، ص 11).

[15] ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام، **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، القاهرة، 1955، ج1، ص 120- 121. قارن Kister ("Mecca and Tamim: Aspects of their relations," *Journal of the Economic and Social History of the Orient* 8 (1965), p. 147 -146) حيث يورد رواية ابن حبيب عن الإجازة في الموسم ويقبلها دون مناقشة، مع أنها تذكر أسماء تمثل الأجداد الأوائل للعشائر التميمية أو رجالا يفترض أنهم عاشوا قبل ظهور القبيلة الأم في التاريخ (انظر عرسان الراميني، "حلقة مفقودة في تاريخ مملكة كندة،" **المنارة** 4: 1 (1999)، ص 75- 76).

[16] السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق طه سعد، بيروت، 1987، ج1 ص 143.

[17] **الديوان**، 7: 2.

[18] على الرغم من كل هذه الحقائق المتعلقة بنسب بني سعد وصلتهم الوثيقة بكندة فإن أيا من المعلقين على النقش لم يذكر احتمال أن يكون بنو أد بن طابخة هم المقصودين بـ "ود". فقد قرأ Glasser (*Mitteilungen* 2, p. 420) عبارة "كدة ود": "Kinda and Di" لكنه اعترف في الوقت نفسه أن

"Di" هذه ليست معروفة في غير هذا السياق؛ وقد تابعه في ذلك كل من Lundin (*Palestynski* 71, p. 65)، وPraetorius (*ZDMG* 53, p. 16)، وجواد علي (**مفصل**، ج3 ص 198). وقد لفت Smith (*BSOAS* 26, p. 437, note 5) النظر إلى ورود عبارة "كندة وائل" في المصادر ومن ثم قرأ تلك العبارة: "Kinda Wada" مفترضا حدوث تبديل في بعض حروفها؛ وتكمن أهمية قراءة Smith في أنه تعامل مع "ود" على أنها كلمة واحدة، وليست كلمتين: حرف عطف واسم معطوف.

[19] **معجم**، مادة "المشقر".

[20] انظر **نقائض جرير والفرزدق**، تحقيق بيفان، ليدن، 1905- 7، ص 420- 421؛ قارن ص 1071- 1072.

[21] أخفش، **اختيارين**، ص 698.

[22] *Le Museon* 78, p. 432.

[23] ابن منظور، **لسان**، مادة "قضي".

[24] انظر محمد الأكوع الحوالي، **اليمن الخضراء مهد الحضارة**، القاهرة، 1971، ص 271. ويرد الشهر في قائمة المؤلف باسم "ذو القياظ". شهور اليمنيين كانت شهورا شمسية وكانت "توافق الشهور الرومية" (المصدر نفسه).

[25] السابق، ص 61.

[26] *Mitteilungen* 2, pp. 403- 407, lines: 21, 34, 54, 77.

[27] *BSOAS* 26, pp. 438- 439, 441 note 7.

[28] **مفصل**، ج3 ص 488؛ ويقترح جواد علي أيضا اسم "كيدار" (نفسه).

[29] **تاريخ اليمن**، ص 160- 161.

[30] أخفش، **اختيارين**، ص 698.

[31] عن Kister (*Le Museon* 78, p. 432).

[32] انظر إسماعيل بن علي الأكوع، **مخاليف اليمن**، ضبط عبد الله السراجي، ط3، صنعاء، 2009. يقع كل من مخلافي "حضور" و"الأخروج"، حسب الأكوع، غرب صنعاء تقريبا على مسافة 25 كيلومترا و30 كيلومترا، على التوالي (ص 14، هامش 1، ص 15، هامش 2).

[33] *BSOAS* 26, pp. 391- 392.

[34] لم يثبت Beeston هذا اللقب، لكن انظر Smith (*BSOAS* 26, pp. 435).

[35] انظر: Caskel, *Entdeckungen*, p. 29 note 124; Lundin, *Palestynski* 71, p. 76 note 63.

[36] انظر Ryckmans, G., *Le Museon* 66, p. 281. وهو في ذلك يعتمد على ملاحظات يسجلها Philby حول قبائل الجزيرة العربية.

[37] انظر Smith, *BSOAS* 26, pp. 436 note 1.

[38] لاحظ ابن منظور: "والمقول القيل بلغة أهل اليمن؛ قال ابن سيدة: المقول والقيل الملك من ملوك حمير يقول ما شاء ...؛ وقيل هو دون الملك الأعلى، والجمع "أقوال" (**لسان**، مادة "قول").

[39] **معجم**، مادة "حلبان"

[40] ياقوت شهاب الدين بن عبد الله الحموي، **معجم البلدان**، بيروت، 1957، مادة "حلبان".

[41] ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن، **الكامل في التاريخ**، بيروت، 1982، ج5 ص 301.

[42] Thilo, U., *Die Ortsnamen in der Altarabischen Poesie*, Wiesbaden, 1958, s.v. "Halaban", and maps.

[43] انظر مادة "حلبان"، مثلا، في "لسان العرب" و"تاج العروس" و"المحكم والمحيط الأعظم".

[44] ولذلك سمى مقاله "The Campaign of Huluban" (*Le Museon* 78) مفترضا، كما يبدو، أن البكري أخطأ في ربط الشعر بحلبان اليمن. ومع ذلك انظر المصدر نفسه (p. 426 note 11) حيث يساء اقتباس البكري سهوا، كما يبدو.